الفصل الخامس
وماذا بعد الحج ؟

افرح ولا تعجب .

استمرارك في العمل دليل على قبول حجك .

ادع ربك قبول حجك والزم الاستغفار .

اتق الله حيثما كنت .

وأخيراً .

obeikandl.com

الفصل الخامس

وماذا بعد الحج ؟

سؤال يحتاج إليه كل حاج ، وماذا بعد الحج ؟

ماذا بعد هذه الرحلة الفريدة ؟

وماذا بعد هذا السفر المقدس ؟

ماذا بعد هذه السياحة في ملك الله ؟ وفي بلد الله ؟ وفي بيت الله ؟

أخي الحاج : لا بد لك بعد انتهاء هذه الرحلة الإيمانية أن تقف مع نفسك وقفة محاسبة ، تراجع فيها نفسك ، وتنقب فيها عن تقصيرك ، انظر إلى ما قدمت :

هل أديت الحج كما أراد ربك ؟

هل نسكت نسكك كما فعل نبيك ﷺ ؟

هل جئت بالأركان والواجبات ؟

هل فعلت السنن والمستحبات ؟

هل تركت المحرمات والمكروهات ؟

أم تراك وقعت فيما قد نُهيت عنه ، وتركت ما أُمرت به ؟

أخي الحبيب : أما إن كنت قد قصرت ، فإن باب التوبة مفتوح، ودعاء المضطر لا يرد ، فادع الله أن يجبر لك تقصيرك ، ويغفر لك تفريطك ، وإياك أن تظن أن تقصيرك لا يغتفر ، فمهما عظم ذنبك فعفو ربك أعظم ، وقد أحسن القائل :

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت أن عفوك أعظم

واعلم أخي الحاج أن اتهام النفس بالتقصير من آداب الصالحين ، وشيم المخلصين ، وديدن العابدين ، ألم تسمع إلى ما قالته أم المؤمنين السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ للنبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٦٠]؛ قالت : هو الذي يسرق و يزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله ؟ فقال لها النبي ﷺ : « لا يا بنت أبي بكر، لا يا ابنة الصديق ، ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل : ﴿ **أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون : ٦١] (١).

إنه الخوف من عدم القبول ، والحذر من الطاعة ، والرجاء في عفو الله ، والطمع في قبول الحسنة ، وقد قال بعض العارفين : متى رضيت نفسك وعملك لله ، فاعلم أنه غير راض عنك ، ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر ، وعمله عرضة لكل آفة ونقص ، كيف يرضى لله نفسه وعمله ؟

افرح ولا تعجب :

اعلم أخي الحبيب : أن الفرح ليس ذنباً وأن السرور بإتمام الطاعة ليس عيباً ، فافرح وأدخل السرور إلى قلبك ، واعلم بأن الفرح نوعان :

الأول : فرح محمود : وهو الفرح بطاعة الله عز وجل قال

---

(١) رواه أحمد (٢٥٢٦٣) وقال محققو المسند : إسناده ضعيف، ورواه الحميدي (٢٧٥) والترمذي (٣١٧٥) والحاكم(٢ / ٣٩٣).

تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس: ٥٨].

الثاني : فرح مذموم : وهو ما كان لغير طاعة الله ، وكل فرح في غير طاعة فرح مذموم ، وقد قال تعالى : ﴿ ذَلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [غافر: ٧٥] إنه فرح الشهوة المحرمة ، فرح اللذة المزلة ، وقد قال تعالى لقارون على لسان موسى عليه السلام : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾ [القصص: ٧٦]، وقال سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

ومع هذا الفرح إياك والعجب ، فإنه داء مهلك ، ومرض عضال وقد حذر النبي ﷺ منه فقال : « ثلاث مهلكات وثلاث منجيات ؛ فأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه »(١).

يقول ابن عطاء الله : لا تفرحك الطاعة لأنها برزت منك ؛ وافرح بها لأنها برزت من الله إليك (٢).

ويقول : كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه إليك(٣).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٦ / ٤٧) عن أنس. وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٨٠٢) .

(٢) الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص٢٢ .

(٣) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ص ٥٨ .

نعم أخي الحبيب : إياك أن يدخل العجب إلى قلبك بعد هذه الطاعة العظيمة فتهلك طاعتك ، ويضيع ثوابك ، وتبطل حجتك .

وإذا كان الرياء من آفات العمل قبل إتيانه ، فإن العُجب من آفات العمل بعد تمامه، وقد حكي أن رجلاً صالحاً حضرته المنية فبكى، فقال جلساؤه لم تبكي وقد فعلت كذا وكذا ، فقال لهم : وما يدريني أن شيئاً من هذا قد قبل ؟ والله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [المائدة : ٢٧].

وما أروع ما قاله ابن القيم في هذا المقام : ما أقرب المدل [١] من مقت الله ، فذنب تدل به لديه ، أحب إلى الله من طاعة تدل بها عليه .

وإنك أن تبيت نائماً وتصبح نادماً ، خير من أن تبيت قائماً وتصبح معجباً ، فإن المعجب لا يصعد له عمل .

وإنك أن تضحك وأنت معترف ، خير من أن تبكي وأنت مدل . وأنين المذنبين أحب إلى الله من زجل المسبحين المدلين[٢] .

وقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك .

ولهذا قال ابن القيم موضحاً نفع الذنب للعبد من طاعة يعقبها عجب قال :

والذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة من كثير من الطاعات ، وهذا معنى قول بعض السلف : قد يعمل العبد الذنب

---

(١) المنان بعمله .

(٢) انظر : تهذيب مدارج السالكين / ص ١٢٠ .

فيدخل به الجنة ، ويعمل الطاعة فيدخل بها النار ، قيل وكيف ذلك ؟ قال : يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه ، إن قام ، وإن قعد ، وإن مشي ، ذكر ذنبه فيحدث له انكساراً ، وتوبة ، واستغفاراً ، وندماً ، فيكون ذلك سبب نجاته ، ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه إن قام ، وإن قعد ، وإن مشي ، كلما ذكرها أورثته عجباً ، وكبراً ، ومنة ، فتكون سبب هلاكه (١) .

وقد لخص ذلك ابن عطاء الله السكندري في حكمه فقال :

ربما فتح الله لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول .

وربما قضى عليك بالذنب ، فكان سبباً في الوصول .

معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً .

وهذا ما جعل الصديق يقول : والله لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدماي في الجنة .

وجعل عمر حين دخل بستاناً فسمعه أنس يقول : عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، بخ لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبنك .

ولله در أبي نواس حين قال :

إلهنا ما أعدلك ... مليك كل من ملك

لبيك قد لبيت لك ... لبيك إن الحمد لك

والملك لا شريك لك ... والليل لما أن حلك

والسابحات في الفلك ... على مجار المنسلك

(١) انظر : تهذيب مدارج السالكين / ص ١٧٠ .

ما خاب عبد أملك ... أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك ... كل نبي وملك
يا مخطئاً ما أغفلك ... عجّل وبادر أجلك
واختم بخير عملك ... لبيك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك ... والعز لا شريك لك (١)

واسمع معي إلى هذه القصة التي حضرها طاووس رحمه الله ويحكيها لنا ابن الجوزي رحمه الله في كتابه « صفوة الصفوة » : قال طاوس بينا أنا بمكة بعث إليّ الحجاج فأجلسني إلى جنبه ، وأتكأني على وسادة ؛ إذ سمع ملبيا يلبي حول البيت رافعا صوته بالتلبية فقال : عليّ بالرجل . فأتي به . فقال : ممن الرجل ؟

فقال : من المسلمين .

قال : ليس عن الإسلام سألت .

قال : فعم سألت ؟

قال : سألتك عن البلد .

قال : من أهل اليمن ؟

قال : كيف تركت محمد بن يوسف ؟ يريد أخاه .

قال : تركته عظيما جسيما لباسا ركابا خراجا ولاجا .

قال : ليس عن هذا سألتك .

قال : فعم سألت ؟

قال : سألتك عن سيرته .

(١) انظر : البداية والنهاية / ابن كثير / ج ١٠ / ص ٢٣٣ .

فقال : تركته ظلوما غشوما مطيعا للمخلوق عاصيا للخالق .

فقال له الحجاج : ما حملك أن تتكلم بهذا الكلام وأنت تعلم مكانه مني .

قال الرجل : أتراه بمكانه منك أعز مني بمكاني من الله عز وجل؟ وأنا وافد بيته ومصدق نبيه ، وقاضي دينه .

قال : فسكت الحجاج فما أحار جوابا ، وقام الرجل من غير أن يؤذن له فانصرف .

قال طاوس : وقمت في أثره ، وقلت : الرجل حكيم .

فأتى البيت فتعلق بأستاره ثم قال : اللهم بك أعوذ وبك ألوذ اللهم اجعل لي في اللهف إلى جودك والرضا بضمانك مندوحة عن منع الباخلين ، وغنى عما في أيدي المستأثرين ، اللهم فرجك القريب القريب ، ومعروفك القديم ، وعادتك الحسنة ، ثم ذهب في الناس فرأيته عشية عرفة وهو يقول : اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني الأجر على مصيبتي بتركك القبول مني ، ثم ذهب في الناس فرأيته غداة جمع يقول : واسوأتاه والله منك وإن عفوت يردد ذلك[1] .

استمرارك في العمل دليل على قبول حجك :

أخي الحبيب : ذكر ابن القيم رحمه الله في « الداء والدواء » : أن المعاصي تزرع أمثالها حتى يعز على العبد مفارقتها، والخروج منها .

---

(١) انظر : صفوة الصفوة / ابن الجوزي / تحقيق محمود فاخوري ، د / محمد رواس قلعجي / ج ٢ / ص ٢٩٩ / الطبعة الثانية / دار المعرفة بيروت / ط ١٩٧٩ م .

وقال بعض السلف : إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها ولا يزال العبد يألف المعاصي ويحبها ويؤثرها حتى يرسل الله عليه الشياطين فتؤزه أزاً (١).

وإذا كان هذا هو حال العبد في المعصية ، فإن حاله في الطاعة كذلك .

وقد كان من كلام السلف : علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها . فإن وفقت لطاعة فهذه علامة قبول حجك . وقد قال ربنا: ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ﴾ [مريم: ٧٦].

يقول ابن عطاء الله : من وجد ثمرة عمله عاجلاً فهو دليل على وجود القبول آجلاً (٢).

ويقول : وجدان ثمرات الطاعات عاجلاً بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلاً(٣).

وإن من مميزات الإسلام أنه دين عبادة مستمرة وطاعة دائمة ، ولا تنتهي العبادة فيه بانتهاء شعيرة ، أو الفراغ من فريضة ، بل العبادة مستمرة مع الإنسان من لحظة تكليفه ، إلى لحظة تكفينه ، وقد قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾

[الحجر: ٩٩]

بل العبودية كما يؤكد ابن القيم تستمر بعد الممات: بل عليه

(١) انظر : الداء والدواء / ص ٤٧ .
(٢) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ٢٥ .
(٣) انظر : الحكم العطائية والمناجاة الإلهية / ٥٨ .

في البرزخ عبودية لما يسأله الملكان : من كان يعبد ؟ وما يقول في رسول الله ﷺ ، ويلتمسان منه الإجابة .

وعليه عبودية أخرى يوم القيامة ، يوم يدعو الله الخلق كلهم إلى السجود فيسجد المؤمنون ويبقى الكفار والمنافقون فلا يستطيعون السجود ، فإذا دخلوا دار الثواب والعقاب انقطع التكليف هناك وصارت عبودية أهل الثواب تسبيحاً مقروناً بأنفاسهم لا يجدون له تعباً ولا نصباً (١) .

ومن هنا كان النبي ﷺ يحذر من انقطاع العمل ويوضح أن : « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل »(٢) .

وحين دخل النبي ﷺ على عائشة ـ رضي الله عنها ـ ووجد عندها امرأة سأل : « من هذه ؟ قالت : فلانة ؛ تذكر من صلاتها(٣)، قال : مه(٤) عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا ، قالت عائشة : وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه »(٥) .

أخي الحبيب : إن الثبات على الطاعة بعد الحج كما ذكرنا توفيق من الله ، ومنة من الباري سبحانه ، ولذا كان الصالحون يسألون الله الثبات وقد جاء في دعاء الراسخين في العلم : ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي**

---

(١) انظر : تهذيب مدراج السالكين / ص ٨١ .

(٢) رواه البخاري في الرقاق رقم (٦٤٦٤) ، ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٣) عن عائشة.

(٣) تذكر من صلاتها : أي من كثرتها .

(٤) مه : كلمة زجر . ولا يمل الله أي لا يقطع ثوابه عنكم حتى تملوا أو تتركوا عبادتكم .

(٥) رواه البخاري في الإيمان رقم (٤٣) ، ومسلم في صلاة المسافرين رقم (٧٨٥) عن عائشة.

﴿الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧، ٨].

وإذا كان هذا هو دعاء الراسخين فما بالنا نحن ؟ فإن علمت ذلك أخي الحبيب فتأمل دعاء النبي ﷺ لربه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ».

نعم لقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك . فقيل له : يا نبي الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا فقال ﷺ : « نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل يقلبها كيف شاء »(١).

وكان ﷺ إذا أقسم قال : « لا ومقلب القلوب »(٢).

وفي حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه أن يقول : « اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقلت : « يا رسول الله ما أكثر دعائك: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قال: يا أم سلمة إنه ليس من آدمي إلا قلبه بين إصبعين من أصابع الله عز وجل ؛ فإن شاء عز وجل أقام وإن شاء أزاغ »(٣).

---

(١) رواه أحمد (١٢١٠٧) عن أنس، وقال محققو المسند: إسناده قوي على شرط مسلم، ورواه الترمذي (٢١٤٠) وأبو يعلى (٣٦٨٧) والحاكم (١ / ٥٢٦)، وذكره الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٧٣٩) .

(٢) رواه البخاري رقم (٦٦٢٨) .

(٣) رواه أحمد (٢٦٦٧٩) عن أم سلمة، وقال محققو المسند: حديث صحيح بشواهده، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٠ / ٢٠٩) والترمذي (٣٥٢٢) وأبو يعلى (٦٩٨٦)، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٢٠٩١) .

وفي رواية عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو: « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت: فقلت: يا رسول الله إنك تكثر تدعو بهذا الدعاء؟ فقال: يا عائشة إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله عز وجل، فإذا شاء أزاغه، وإذا شاء أقامه»(١).

وهذا ما جعل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يقول لأبي الدرداء: تعال نؤمن ساعة. إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غلياناً.

أخي الحبيب: إن الاستقامة على طاعة الله هي جالبة الأمن، مذهبة الخوف، مدخلة الجنة، ولقد سأل سفيان ابن عبد الله رسول الله ﷺ فقال: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك. فقال رسول الله ﷺ: قل: آمنت بالله ثم استقم»(٢).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

إن انقطاع العمل هو روغان وتفلت، وقد قال عمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ لم يروغوا روغان الثعلب.

ادع ربك قبول حجك والزم الاستغفار:

أخي الحبيب: أما وقد أنهيت نسكك، وتحللت من إحرامك؛ فسل الله قبول طاعتك والزم الاستغفار فإنه ديدن الصالحين بعد كل

---

(١) رواه أحمد (٢٤٦٠٤) عن عائشة، وقال محققو المسند: صحيح لغيره، وأخرجه النسائي في الكبرى (٧٧٣٧).

(٢) رواه مسلم في الإيمان رقم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله.

طاعة ، وإياك أن تقل : إنني لست في حاجة إلى استغفار بعد الطاعة ، فهذا ظن خاطئ ، وفهم قاصر .

فقد يظن كثير من الناس أن الاستغفار إنما هو إثر معصية ، أو وقوع في خطيئة، أو تقصير في واجب ، أو وقوع في محذور، أو تنح عن الطريق المشروع ، أو وقوع في حبائل الشيطان ، بارتكاب صغيرة أو كبيرة ، ولكن هذا فهم خاطئ وتصور قاصر .

والحق أن العبد في حاجة إلي الاستغفار بعد الطاعة كما هو في حاجة إلى الاستغفار بعد المعصية، وهو محتاج إلى الاستغفار بعد الذكر والإحسان، كما أنه محتاج إلى الاستغفار بعد البعد والعصيان ؛ فاحتياجه للاستغفار بعد المعصية ليغفرها الله له وليمحها الله من سيئاته ، واحتياجه للاستغفار بعد الطاعة إنما ليتقبلها الله منه وليشكر لربه على أن وفقه مع من وفق من عباده الصالحين لمثل هذا الأمر .

يقول ابن القيم : وأرباب العزائم والبصائر أشد ما يكونون استغفارا عقب الطاعات لشهودهم تقصيرهم فيها، وترك القيام لله بها كما يليق بجلاله وكبريائه ، وأنه لولا الله لما أقدم أحدهم على مثل هذه العبودية ولا رضيها لسيده .

ويضرب ابن القيم أمثلة من الاستغفار بعد الطاعات فيقول : وقد أمر الله تعالى وفده وحجاج بيته بأن يستغفروه عقب إفاضتهم من عرفات ، وهو أجل المواقف وأفضلها: ﴿ **فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

وبعد صلاة الليل ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ [آل عمران: ١٧] قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر ثم جلسوا يستغفرون الله عز وجل.

وبعد الصلاة في الصحيح أنه ﷺ كان إذا سلم من الصلاة استغفر ثلاثا ثم قال: « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام »(١).

وبعد أداء الرسالة واقتراب أجله ﴿ إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ [النصر]

ومن هنا فهم عمر وابن عباس ـ رضي الله عنهم ـ أن هذا أجل رسول الله ﷺ أعلمه به فأمره أن يستغفره عقب أداء ما كان عليه فكأنه أعلمه بأنك قد أديت ما عليك ولم يبق عليك شيء فاجعل خاتمته الاستغفار.

كما كان بعد الوضوء يقول: « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين »(٢)، فهذا شأن من عرف ما ينبغي لله ويليق بجلاله من حقوق العبودية وشرائطها.

وقال بعض العارفين: متى رضيت نفسك وعملك لله؛ فاعلم

---

(١) رواه مسلم في الصلاة رقم (٥٩١) عن ثوبان.

(٢) رواه الترمذي في الطهارة (٥٥) عن عمر. وذكره الألباني في صحيح الجامع رقم (٦١٦٧).

أنه غير راض به ، ومن عرف أن نفسه مأوى كل عيب وشر، وعمله عرضة لكل آفة ونقص ؛ كيف يرضى لله نفسه علمه ؟

ولله در الشيخ أبي مدين حيث يقول : من تحقق بالعبودية نظر أفعاله بعين الرياء وأحواله بعين الدعوى ، وأقواله بعين الافتراء ، وكلما عظم المطلوب في قلبك صغرت نفسك عندك ، وتضاءلت القيمة التي تبذلها في تحصيله ، وكلما شاهدت حقيقة الربوبية وحقيقة العبودية، وعرفت الله وعرفت النفس ؛ تبين لك أن ما معك من البضاعة لا يصلح للملك الحق ولو جئت بعمل الثقلين خشيت عاقبته ، وإنما يقبله بكرمه وجوده وتفضله ، ويثيبك عليه أيضا بكرمه وجوده وتفضله[1].

اتق الله حيثما كنت :

أخي الحبيب : لقد فارقت حرم ربك ، وبلد مولاك ، وعدت إلى بلدك ودارك ، فهل تظن أنك تخفى عن ربك حين تبتعد عن حرمه وبلده ؟

أو ليست الأرض كلها ملكه ؟ أوليس الكون كله بيده ؟

أوليس هو القائل : ﴿ **هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ [المجادلة : ٧].

أخي الحبيب :

تأمل قول النبي ﷺ لأبي ذر ومعاذ : «اتق الله حيثما كنت»[2] واعلم أن ربك مطلع عليك ، وأن من طفت بيته ، وسعيت

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ص ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) رواه أحمد (٢١٣٥٤) وقال محققو المسند : حسن لغيره، وهذا إسناد رجاله ثقات، ورواه الترمذي (١٩٨٧) والحاكم (١ / ٥٤) والدارمي (٢٧٩١) والبيهقي في الشعب (٨٠٢٦)، وذكره الألباني في صحيح الترغيب رقم (٣١٦٠).

له ، وأرغمت له أنف الشيطان برجمه ، ونحرت له هديك ؛ يراك في بلدك كما يراك في بلده ، وهو مطلع عليك أينما كنت ، فإياك أن تكون عابد موطن ، أو مسبح مكان ؛ ولكن خف ربك ، واعبد مولاك في كل موطن ، وفي كل مكان .

أخي الحبيب :

هل سمعت بهذه المرأة التي راودها رجل عن نفسها وقال لها : ما يرانا إلا الكواكب ؟ فقالت المرأة : فأين مكوكبها ؟

ودخل بعضهم غيضة[1] ذات شجر فقال : لو خلوت هاهنا بمعصية من كان يراني ؟ فسمع هاتفاً بصوت ملأ الغيضة ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الملك: ١٤].

ورحم الله أحمد بن حنبل إذ كان ينشد :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب[2]

● **وأخيراً :**

يا من أحرمت وخلعت ثيابك : هل خلعت عنك معاصيك ؟

يا من ارتديت الثياب البيض هل تذكرت ثياب كفنك ؟

يا من لبيت بلسانك : هل لبى قلبك لمولاك ؟

---

(١) الشجر الملتف .

(٢) راجع هذه النقول في كتاب جامع العلوم والحكم / ج١ / ص ٤٠٩ وما بعدها .

يا من طفت بالبيت : هل طاف قلبك كما طافت جوارحك ؟

يا من سعيت وركضت : هل سعيت إلى ترك معاصيك ؟ وركضت تائباً إلى مولاك ؟

يا من وقفت بعرفة : هل عرفت قدر مولاك ؟

يا من رميت الجمار : هل رميت باطلك ، وقذفت معاصيك ، ورجمت ذنوبك؟

يا من حلقت رأسك وتجردت من شعرك : هل تجردت من الماضي وانسلخت من الفائت ؟

يا من نحرت هديك : هل نحرت هواك وذبحت معاصيك ؟

وفي الختام : أسأل الله لي ولك القبول والهداية ، والمغفرة والاستقامة ، كما أساله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم . ربي :

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة ... يا من لسدته الحوائج ترفع
إني لجأت لباب أرحم راحم ... فلئن رددت فأي باب أقرع
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه ... إن كان فضلك عن فقير يمنع

وأخيراً **أخي الحبيب** : أما وقد فرغت من قراءة هذا الكتيب ، وانتهيت من مطالعة هذه الكلمات ، فإنك واجد فيه ولا شك عيوباً وأخطاء ، فهذه طبيعة البشر ؛ فما كان أخي الحبيب من نقص وعيب فمن نفسي والشيطان ، وما كان من فضل وكرم فمن ربي وهو

الرحمن ، ورحم الله عبداً أهدى إلي عيوبي كما قال الفاروق ، ورحم الله رجلاً بصّرني بذلاتي ، وأستحلفك بالله أخي الحبيب أن تدعو الله أن يغفر لصاحب هذه الكلمات ووالديه وأهله ومن قرأها ، ومن دعا ، ومن قال آمين .

أكرم عبد الستار كساب

الدوحة في ١٠ جمادى الآخرة ١٤٢٤ هـ

الموافق ٨ أغسطس ٢٠٠٣م

Akram_Kassab@hotmail.com

obeikandl.com